

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: 130 - 132]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

وَجْهُ الاتِّصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا قَبْلَهَا: أَنَّ مَا قَبْلَهَا فِي بَيَانِ أَنَّ اللَّهَ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَمَّ أَذَلُّهُ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا نُصِرُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَامْتِثَالِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ وَلِذَلِكَ خُذِلُوا فِي أَحَدٍ عِنْدَ الْمَخَالَفَةِ وَالطَّمَعِ فِي الْغَنِيمَةِ، فَحَتَّهَمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى بَذْلِ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، كَالِدِفَاعِ عَنِ الْمِلَّةِ وَالْأُمَّةِ، وَالتَّنْفِيرِ عَنِ الطَّمَعِ فِيهِ، وَشَرُّهُ أَكْلُ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً؛ لِذَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ، وَفِي آخِرِهَا شَيْءٌ يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ ⁽¹⁾، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ وَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ، بِأَنَّهُمْ إِنْ صَبَرُوا، وَاتَّقَوْا؛ نَصَرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، فَكَأَنَّ النُّفُوسَ اشْتَاقَتْ إِلَى مَعْرِفَةِ خِصَالِ التَّقْوَى الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا النَّصْرُ وَالْفَلَاحُ وَالسَّعَادَةُ، فَذَكَرَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَهَمَّ خِصَالِ التَّقْوَى الَّتِي إِذَا قَامَ الْعَبْدُ بِهَا؛ فَقِيَامُهُ بِغَيْرِهَا مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى، فَنَهَايَهُمْ أَوَّلًا عَنْ أَكْلِ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً، ثُمَّ تَوَالَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْأَوَامِرُ الْأُخْرَى الَّتِي مَنِ امْتَثَلَهَا، فَإِنَّهُ يُحَقِّقُ التَّقْوَى ⁽²⁾، فَنَاسَبَ اعْتِرَاضَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ هُنَا أَنَّهُ تَعَالَى وَعَدَ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْإِمْدَادِ مَقْرُونًا بِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى، فَبَدَأَ بِالْأَهَمِّ مِنْهَا، وَهُوَ: مَا كَانُوا يَتَعَاطَوْنَهُ مِنْ أَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، وَأَمَرَ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ بِالطَّاعَةِ ⁽³⁾.

الأمر بتقوى
الله في الأموال
وطاعته في
جميع الأحوال،
بعد ذكر تقواه
في الجهاد
والصبر والقتال

(1) رضا، تفسیر النار: 4/101.

(2) السَّعْدِي، تَبْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، ص: 148.

(3) أَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 3/340.

❁ شرح المفردات:

(1) ﴿الرِّبَا﴾: أصلُ الرِّبَا: الزَّيَادَةُ، يُقَالُ: رَبَا يَرْبُو، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: 5]، أَي: زَادَتْ، وَانْتَفَخَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ، أَوْ زَادَ: فَقَدْ رَبَا، ⁽¹⁾ وَمَعْنَاهُ فِي الشَّرْعِ: أَنْ يُعْطِيَ الْمَدِينُ مَا لَا لِدَائِنِهِ زَائِدًا عَلَى قَدْرِ الدَّيْنِ لِأَجْلِ الْإِنْتِظَارِ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ، وَلَمْ يَدْفَعْ: زَادَ فِي الدَّيْنِ ⁽²⁾.

(2) ﴿أَضْعَفًا مُّضَاعَفَةً﴾: الضَّعْفُ: زِيَادَةُ الشَّيْءِ بِمِثْلِ، وَأَصْلُ الضَّعْفِ يُدَلُّ عَلَى أَنْ يَزَادَ الشَّيْءُ مِثْلَهُ، يُقَالُ: أَضْعَفْتُ الشَّيْءَ إِضْعَافًا، وَضَعَفْتُهُ تَضْعِيفًا، وَضَاعَفْتُهُ مُضَاعَفَةً، وَهُوَ أَنْ يَزَادَ عَلَى أَصْلِ الشَّيْءِ، فَيُجْعَلَ مِثْلَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَضَعَفْتُ الْقَوْمَ أَضْعَفُهُمْ ضَعْفًا، إِذَا كَثَرَتْهُمْ ⁽³⁾.

(3) ﴿تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ وَتُظْفَرُونَ بِالْبَغْيَةِ، مِنْ الْفَلَاحِ: وَهُوَ الْفَوْزُ بِمَا يُغْتَبَطُ بِهِ، وَفِيهِ صَلَاحُ الْحَالِ، وَيُقَالُ: أَفْلَحَ؛ إِذَا أَدْرَكَ مَطْلُوبَهُ، وَيَأْتِي الْفَلَاحُ بِمَعْنَى: الْبَقَاءُ فِي الْخَيْرِ، وَأَصْلُ فَلَحَ: يَدُلُّ عَلَى فَوْزٍ وَبَقَاءٍ، فَالْفَلَاحُ: هُوَ الْفَوْزُ وَإِدْرَاكُ الْخَيْرِ، ثُمَّ الْبَقَاءُ فِيهِ، فَالْفَلَاحُ: اسْمٌ جَامِعٌ لَخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِذَا جَعَلَ الرَّاعِبُ الْفَلَاحَ ضَرْبَيْنِ: دُنْيَوِيًّا وَآخَرَوِيًّا ⁽⁴⁾.

(4) ﴿أُعِدَّتْ﴾: أَعْتَدَ الشَّيْءُ: أَعَدَّهُ، وَأَصْلُهُ: أَعَدَدَ، أُبْدِلَتِ الدَّالُّ تَاءً ⁽⁵⁾، وَالْعِتَادُ وَالْعُدَّةُ: ادِّخَارُ الشَّيْءِ قَبْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، كَالْإِعْدَادِ ⁽⁶⁾، وَأَصْلُ (عَدَدَ): يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَقُرْبٍ ⁽⁷⁾، وَالْمَعْنَى هُنَا: هُيِّئَتْ ⁽⁸⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَعَمِلُوا بِشَرْعِهِ؛ تَجَنَّبُوا اخْذَ الرَّبَا زِيَادَةً مُضَاعَفَةً عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمُ الَّتِي أَقْرَضْتُمُوهَا، كَمَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ بَامْتِنَالِ أَمْرِهِ

(1) ابْنُ قُتَيْبَةَ، غَرِيبُ الْقُرْآنِ ص: 297، وَجَبَل، الْعَجْمُ الْإِشْتِقَاقِي لِلْوَصْلِ: (رَبُو، رَبِي).

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 3/79.

(3) الْخَلِيل، الْعَيْن، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (ضَعْف).

(4) ابْنُ دُرَيْدٍ، جَمَاهِرَةُ اللُّغَةِ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (فَلَح).

(5) ابْنُ بَيْسَهْدٍ، الْخُكْمُ، (الْعَيْنُ وَالِدَالُ وَالتَّاء).

(6) الرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ، (عَدَدَ)، وَالْمَنَاوِي، التَّوْقِيفُ، ص: 236.

(7) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللُّغَةِ: (عَدَدَ).

(8) الرَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (عَدَدَ)، وَالسَّمِينُ، غَفْدَةُ الْخَفَاطِ: (عَدَدَ).

واجتناب نواهيه؛ لتفوزوا في الدنيا والآخرة، واجعلوا لأنفسكم وقاية بينكم وبين النار التي هُيئت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول في كل أمر ونهي؛ لترحموا في الدنيا والآخرة⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

تصدير خطاب المؤمنين بالنداء:

لأنَّ النداء للتَّنبِيه، وَلَا يُنبَهُ إِلَّا عَلَى شَيْءٍ مَهْمٍّ، وَإِذَا وُجَّهَ الْخِطَابُ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ فَإِنَّ فِيهِ فَوَائِدَ: أَوَّلًا: الْإِغْرَاءُ وَالْحَثُّ، كَأَنَّهُ يَبَادِيهِمْ بِصِفَةِ إِيْمَانِهِم الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى امْتِثَالِ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ، وَأَنَّ الْإِلْتِزَامَ بِهَذَا مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيْمَانِ، فَالْكَلَامُ خَاصٌّ بِكُمْ - يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - فَتَتَبَّهُوْا أَنْ تَشُوبَ دِيْنَكُمْ شَائِبَةٌ، وَأَنَّ الْمُخَالَفَةَ فِيهِ مِمَّا يَنْقُصُ الْإِيْمَانَ⁽²⁾، فففيه إشعارٌ بأنَّ مِنْ مَقْتَضَى الْإِيْمَانِ وَتَصْدِيقِهِ تَرْكُ الرَّبَا⁽³⁾،

فَصَدَّرَ الْكَلَامَ بِحَرْفِ النَّدَاءِ وَالتَّنبِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي حَمَلِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمُوجِبِ النَّهْيِ⁽⁴⁾؛ وَلِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: "إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا؛ فَارْعَهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"⁽⁵⁾، ففي تصدير الخطاب في شأنه بالنداء تعظيمٌ لشأنِ الربا وبيانُ خطره⁽⁶⁾.

سير التعبير عن إيمانهم بالفعل الماضي:

فاختيار صيغة الفعل الماضي «آمَنُوا»: لإفادة تحقق الإيمان وثبوته لهم، وفي ذلك ما يحثُّهم على حسن التَّقَيُّ والتَّنْفِيز بالابتعاد عن الربا، ويتقوى الله تعالى⁽⁷⁾.

النَّهْيُ عَمَّا حَرَّمَ
الله، والأمر
بالطَّاعَةِ لَهُ
ولرسوله؛ لِأَنَّهَا
عنوان التَّقْوَى
وسبب الرَّحْمَةِ
وسبيل النَّجَاةِ

العِنايةُ
والاهتمامُ بِصِفَةِ
الإِيْمَانِ الْحَامِلَةِ
على امْتِثَالِ الْأَمْرِ
وَاجْتِنَابِ النَّهْيِ

بيانُ تحقُّقِ
إِيْمَانِهِم الدَّاعِي
إِلَى امْتِثَالِ
الأوامر وَاجْتِنَابِ
النَّوَاهِي

(1) لجنة من علماء الأزهر، للنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 91، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير لليسر، ص: 66.

(2) ابنُ عُثَيْمِينَ، تَفْسِيرُ ابْنِ عُثَيْمِينَ: 3/410.

(3) القاسمي، محاسن التأويل: 2/410.

(4) أبو الشعود، إرشاد العقل السليم: 01/699.

(5) أخرجه أحمد ابن حنبل، الزهد، ص: 130، وجوّد أحمد شاكر إسناده، ينظر: أحمد محمّد شاكر، عمدة التفسير: 1/619.

(6) ابن عُثَيْمِينَ، تفسير ابن عُثَيْمِينَ: (سورة آل عمران): 2/159.

(7) الذّٰبِل، دليل البلاغة القرآنية: 1/526 - 527.

دَلَالَةُ المجاز في التَّعْبِيرِ بِالْأَكْلِ عن التَّعْطِي:

البالغة في
التَّشْنِيعِ عَلَيْهِمْ
وَتَبَشِيرِ حَالِهِمْ

قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا﴾ مجاز مرسل، قُصِدَ بِهِ التَّشْنِيعُ على المُرَابِّينَ بِلَفْظَةِ الْأَكْلِ الدَّالَّةِ على الجَشَعِ، فَمَعْنَى ﴿لَا تَأْكُلُوا الرَّبَّوْا﴾، أَي: لَا تَكْتَسِبُوا الرِّبَا، وَلَا تَتَعَاطَوْهُ، فَعَبَّرَ عَنْ مُعَامَلَةِ الرَّبَا وَأَخَذِهِ بِالْأَكْلِ؛ لِأَنَّ الْأَكْلَ غَالِبٌ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِيهِ، فَيُصْرَفُ فِي الْمَأْكُولِ غَالِبًا، فَأَقِيمَ هَذَا الْبَعْضُ مِنْ تَوَابِعِ الْكَسْبِ مَقَامَ الْكَسْبِ كُلِّهِ (1).

ولأنَّ الرِّبَا - أَيْضًا - شَائِعٌ في المَطْعُومَاتِ، وَهُوَ زِيَادَةٌ فِي الْأَجَلِ، بِأَنْ يُبَاعَ مَطْعُومٌ بِمَطْعُومٍ، بِأَكْثَرِ مِنْهُ مِنْ جِنْسِهِ (2)، فَيَكُونُ الْأَكْلُ هُنَا عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ خُصُوصِ الْأَكْلِ (3).

فسمَّى أَخَذَ الرِّبَا أَكْلًا في قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرَّبَّوْا﴾؛ لَأَنَّهُ يُؤُولُ إِلَيْهِ، فَهَذَا مِنْ بَابِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ (4).

فهذه الصُّورَةُ مِنْ قَبِيلِ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ بِعِلَاقَةِ اللَّزُومِ، حَيْثُ عَبَّرَ عَنْ أَخَذِ الرِّبَا بِالْأَكْلِ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَ الْمَقْصُودِ مِنَ الْمَالِ الرَّبَوِيِّ الْأَكْلُ، وَهُوَ أَشْهَرُ لَوَازِمِهِ وَمَصَارِفِهِ عِنْدَ النَّاسِ (5)، كَمَا عَبَّرَ بِالْأَكْلِ هُنَا لِمَا فِيهِ مِنْ فَنَاءِ الْمَادَّةِ الْمَأْكُولَةِ وَإِخْفَائِهَا عَنِ الْعُيُونِ نِهَائِيًّا، فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَالِ الرَّبَوِيِّ كَالطَّعَامِ يَلْتَهُمُهُ الظَّالِمُ؛ لِيُبَيِّنَ شِدَّةَ حِرْصِهِ عَلَى أَخْذِهِ دُونَ تَرْكِ شَيْءٍ مِنْهُ وَدُونَ إِرْجَاعِهِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَإِنَّ الطَّعَامَ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَهُ الْمَرْءُ يُمْكِنُ إِعَادَتُهُ إِلَى أَهْلِهِ، وَإِذَا مَا أَكَلَهُ؛ فَقَدْ قَرَّرَ عَدَمَ إِرْجَاعِهِ، وَكَذَلِكَ أَمَلَ الرِّبَا.

وَقَدْ جَاءَتْ لَفْظَةُ الْأَكْلِ مُقْتَرَنَةً بِالْمَالِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّ الْأَكْلَ أَقْوَى مَقَاصِدِ الْإِنْسَانِ فِي الْمَالِ، ثُمَّ صَارَ

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 1/371، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 1/162.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 1/412، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 1/162.

(3) أبو حيان، البخر المحيط: 2/704.

(4) أبو حيان، البخر المحيط: 3/342.

(5) أبو حيان، البخر المحيط: 3/610، والقنوجي، فتح البيان: 3/93.

حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً، فَقَالُوا: أَكَلَ مَالَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: 188]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ [النساء: 10]⁽¹⁾.

فهذا المجاز أفاد تشنيع التصرف في أموال الناس في غير وجه حق، وهو استيلاء ظلم، وهذا مجاز صار كالحقيقة⁽²⁾، في ظهوره وكثرتِه وشناعة حال فاعله.

دلالة وصف الربا المنهي عنه في كونه أضعافاً مضاعفة:

ليس القيد بالوصف هنا هو مصبب النهي عن أكل الربا؛ حتى يتوهم متوهم أنه إن كان دون الضعف؛ لم يكن حراماً، لأن الحال واردة لحكاية الواقع، فهذه الآية نزلت في ربا الجاهلية، قال سعيد بن جبیر: كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حلَّ الأجل؛ فيقول: آخر عني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة⁽³⁾، فلا تفيد مفهوماً؛ لأن شرط استفادة المفهوم من القيود ألا يكون القيد المفلوظ به جرى لحكاية الواقع، فلا يقتصر التحريم بهذه الآية على الربا البالغ أضعافاً كثيرة⁽⁴⁾، وليس معنى الكلام أن الربا لا ينهي عنه إلا إذا كان أضعافاً مضاعفة، وإنما تضمن النهي عن الربا التوبيخ بما كانوا عليه في الجاهلية من تضعيفه، وإلا فإن أكل الربا منهي عنه قليلاً كان أو كثيراً، لكن الآية نزلت على سبب، وهو فعلمهم ذلك، فهو تشنيع عليهم⁽⁵⁾، فالتنهي هنا مراعاة ما كانوا عليه من العادة، توبيخاً لهم بذلك⁽⁶⁾.

**تحذير
للمسلمين من
ربا الجاهلية،
وتشنيع سلوك
طريق أهله**

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/79.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/23.

(3) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/325.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/86.

(5) الزركشي، البرهان: 3/401.

(6) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/84.

دلالة وصف الأضعاف بالمضاعفة بطريق التّجنيس:

تأكيد شناعة
فعالهم وقبحه

فَقَوْلُهُ: ﴿أَضْعَفًا﴾ هُوَ جَمْعُ ضَعْفٍ، وَهُوَ جَمْعُ قَلَّةٍ، وَلَمَّا كَانَ جَمْعُ قَلَّةٍ، وَالْمَقْصُودُ الْكَثْرَةُ؛ أَتْبَعَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ الْوَصْفُ بِقَوْلِهِ: مُضَاعَفَةً⁽¹⁾، وَهُوَ جِنَاسٌ اشْتِقَاقٌ جَاءَ صِفَةً لِلْأَضْعَافِ، أَيُّ: هِيَ أَضْعَافٌ يَدْخُلُهَا التَّضْعِيفُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا دَايَنُوا أَحَدًا إِلَى أَجَلٍ؛ دَايَنُوهُ بِزِيَادَةٍ، وَمَتَى أَعْسَرَ عِنْدَ الْأَجَلِ، أَوْ رَامَ التَّأْخِيرَ؛ زَادَ مِثْلَ تِلْكَ الزِّيَادَةِ، فَيَصِيرُ الضَّعْفُ ضِعْفًا، وَيَزِيدُ، وَهَكَذَا، فَيَصْدُقُ بِصُورَةٍ أَنَّهُ يَجْعَلُونَ الدَّيْنَ مُضَاعَفًا بِمِثْلِهِ إِلَى الْأَجَلِ⁽²⁾، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا بَلَغَ الدَّيْنَ مَحَلَّهُ؛ يَقُولُ: إِنَّمَا أَنَّنِي تَقْضِي حَقِّي، أَوْ تُرْبِي، وَأَزِيدُ فِي الْأَجَلِ، فَاسْتَغْرَقَ بِالشَّيْءِ الطَّافِيفِ مَالِ الْمَدْيُونِ⁽³⁾، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ الْمَوْكَّدَةُ عَلَى شَنْعَةِ فَعْلِهِمْ وَقَبِيحِهِ⁽⁴⁾.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ظَاهِرُهُ التَّعْلُقُ بِالْجُمْلَةِ الْأَخِيرَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ لِأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ هُوَ إِجْمَاعُ الْخَيْرِ مِنْ امْتِنَالِ الْأَمْرِ، وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي، فَعَلَّقَ التَّقْوَى بِرَجَاءِ الْفَلَاحِ، وَهُوَ الظَّفَرُ بِالْبُعْغَةِ.

التّذليل بالأمر بالتّقوى والترجية في الفلاح:

بيان أن الرجاء
والطمع في
الفلاح سبيل
التّقين

لَمَّا نَهَاهُمْ عَنْ أَمْرٍ صَعَبٍ عَلَيْهِمْ فَرَّاقَهُ، وَهُوَ الرَّبَا؛ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ؛ إِذْ هِيَ الْحَامِلَةُ عَلَى مُخَالَفَةِ مَا نَعَوَّدَهُ الْمَرْءُ مِمَّا نَهَى الشَّرْعُ عَنْهُ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ التَّقْوَى سَبَبٌ لِرَجَاءِ الْفَلَاحِ، وَهُوَ الْفَوْزُ، وَأَمَرَ بِهَا مُطْلَقًا لَا مُقَيَّدًا بِفِعْلِ الرَّبَا؛ لِأَنَّهُ لَمَّا نَهَى عَنِ الرَّبَا؛ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ أَسْرَعَ شَيْءٍ لَطَوَاعِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يَأْتِ: وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَكْلِ الرَّبَا، بَلْ أَمَرُوا بِالتَّقْوَى، لَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى شَيْءٍ خَاصٍّ مَنَعُوهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرِيعَةِ⁽⁵⁾، وَلَعَلَّ

(1) أَبُو حَتَّىانَ، الْبُخَارِيُّ الْمَحِيطُ: 3/340.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/85.

(3) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكُشَافُ: 1/414، وَابْنُ خَالَوَيْهِ، أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ: 2/38، وَالْقَاسِمِيُّ، مُحَاسِنُ التَّأْوِيلِ:

2/410.

(4) ابْنُ عَطِيَّةٍ، الْوَجِيزُ: 1/507.

(5) أَبُو حَتَّىانَ، الْبُخَارِيُّ الْمَحِيطُ: 3/340.

كَلِمَةً لَّعَلَّكُمْ لِلتَّرْجِيَةِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَلَمًا يَخْلُو فِي آدَاءِ الْفَرِيضَةِ مِنْ تَقْصِيرٍ⁽¹⁾، ويكون التقدير: افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع⁽²⁾ في الفلاح.

ولا يخفى أن افتتان الرجاء بالتخويف يفيد أن العبد ينبغي أن يكون بين الرجاء والخوف، فهما جناحاه اللذان يطير بهما إلى حظائر القدس⁽³⁾.

دلالة تعريف لفظة «النار» بالآدم والصلّة:

الآدم في «النار» من قوله تعالى: «وَاتَّقُوا النَّارَ» لِلْعَهْدِ الْعَلَمِيِّ، وذلك أن كثيراً من آيات النار نزلت بمكة المكرمة، فاستقر ذلك المعنى في نفوس المتلقين، فإذا عُرِّفَت بالآدم؛ انصرف الذهن إلى تلك النار المعروفة قبل، لا إلى كل نار، كما أن تعريف النار بهذه الصلّة، يُشعرُ بأنه قد شاع بين المسلمين هذا الوصف للنار بما في القرآن من نحو قوله تعالى: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» [التخريم: 6]، وقوله: «وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» [الشعراء: 91] الآية⁽⁴⁾.

والتعريف بالموصول هنا لتعظيم الزجر؛ لأن المؤمنين الذين أمروا بترك المعاصي والإقلاع عنها، والبعد عن سبيلها، إذا علموا أنهم متى فارقوا التقوى، وارتكسوا في حماة المعاصي؛ أدخلوا تلك النار المهولة المربعة المعدة للكافرين، وقد علموا من النصوص التي تفرع آذانهم عظمتها وعظمة ما فيها من أنواع النكال؛ كان انزجارهم عن المعاصي أتم.

هذه الآية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى؛ لأنه قال: «أَعِدْتُ لِلْكَافِرِينَ»، فجعلها معدة للكافرين دون المؤمنين⁽⁵⁾.

بيان ما استقر
في نفوس الناس
من معرفة للنار
المتوعد بها

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/254.

(2) الفتوّجي، فتح البيان: 1/103.

(3) الألوسي، روح المعاني: 2/270.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/88.

(5) الخازن، لباب التأويل: 1/296.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 5، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-57-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 5: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغامي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-57-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»